المَشرقُ الرَّقْميَّة
مجلّة إلكترونيّة تصدر مرّتين في السّنة عن دار المشرق
العدد السابع، كانون الأوّل ٢٠١٥

أغاثا كريستي وحلب والتوثيق

عبد الله حجّار*

أغاثا كريستي (١٨٩٠-١٩٧٦)

ولِدَت أغاثا ماري كلاريسا ميلّر في العام ١٨٩٠ بإنكلترا. كان والدها أميريكيًّا يعمل في البورصة، وهي صغرى إخوتها الثلاثة. عمِلت ممرّضة في أثناء الحرب العالميّة الأولى، وتزوّجت الطيّار أرشي كريستي في سلاح الطيران الملكيّ، وأنجبت منه ابنتها الوحيدة روزالِند التي ولِدَت في العام ١٩١٩. ألّفت في أثناء زواجها ستّةَ كتب وعدّة قصص، وطلبت الطلاق من زوجها في العام ١٩٢٨، عندما علمت أنّه على علاقة بامرأة أخرى، وعُرِفت منذئذٍ باسم أغاثا كريستي.

أغاثا وماكس في عام ١٩٧٠

تعرّفت إلى الشابّ ماكس ملوان (١٩٠٤-١٩٧٨) مساعد رئيس بعثة التنقيب في زيارة لصديقَيْها السير ليونارد وولي وزوجته في أثناء عملهما في العراق، وأعجِبَ الواحد بالآخر، وتزوّجا في العام ١٩٣٠. ورافقته في تنقيباته اللاحقة بالعراق (نمرود) وسورية في الثلاثينيّات من القرن

* باحث ومؤرّخ من حلب.

العشرين، وكانت تقوم بمهمّات التصوير مع البعثة. وإذ كانت تُسأل عن غرابة الحياة التي عاشتها مع زوجها في التنقيب، قرّرت أن تجيب بكتابها الممتع **تعال حدّثني كيف تعيش**، الذي كتبته في أثناء الحرب العالميّة الثانية وصدر في العام ١٩٤٦.

أعمال أغاثا:

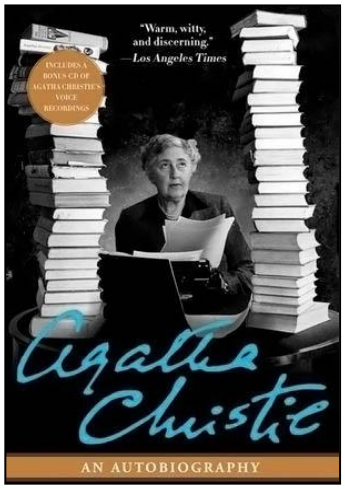

أغاثا مع كتبها وتوقيعها في دار بوخه

كتبت أغاثا ٦٦ قصّة بوليسيّة وأكثر من ١٥ مجموعة قصص قصيرة، وعددًا من المسرحيّات أهمّها مسرحيّة مصيدة الفأر Mousetrap التي لا تزال تُمثَّل (وحاليّاً على السفراء في لندن) منذ ٢٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٢ حتّى الآن (العام ٢٠١٢)، أي قُدِّمَت أكثر من ٢٤,٦٠٠ مرّة، وهي أطول مدّة في تاريخ المسرح بالعالم. **بلغ عدد كتبها ٩٤ كتابًا نُقِلت الى ١٠٣ لغات (أي ١٦ ضعف من كتب شكسبير)، ودخلت موسوعة غينيس للأرقام القياسيّة إذ بيعت ٤ مليارات نسخة من كتبها، ولم يُطبَع عدد أكثر من نسخ كتبها سوى نسخ الكتاب المقدّس**. نالت عدّة جوائز ومُنِحَت لقب كومندور المملكة البريطانيّة العام ١٩٥٦، ولقب سيّدة كومندور العام ١٩٧١. كما مُنِحَ زوجها العالم ماكس ملوان كذلك لقب فارس (سير) على أعماله في مجال الآثار.

عاشت أغاثا حياةً سعيدةً مع زوجها الثاني عالم الآثار ماكس ملوان، وكتبت **سيرتها الذاتيّة** بكلّ صدق. وعلّق حفيدها ماتيو في المقدّمة بأنّه "نشيد لفرح العيش"، وقالت فيها: "أعتقد أنّني تذكّرتُ ما أردت أن أتذكّره". **والطريف أنّ أغاثا كانت تفضّل شرب الماء على الخمر** الذي كان يقدّمه زوجها إليها، كما حاولت أن تعتاد على التدخين بتناول سيجارة واحدة بعد الغداء وأخرى بعد العشاء، ولمدّة ستّة أشهر، لكنّها لم تفلح في التعوّد على ذلك. كما **كانت تحبّ اقتناء عددٍ من مجموعات الأحذية**. تراجعت صحّتها بين العامَين ١٩٧١ و١٩٧٤ لكنّها تابعت الكتابة، وأعطت حفيدها الوحيد ماتيو بريتشارد حقّ استثمار مطبوعاتها بالإضافة إلى مسرحيّتها الشهيرة "مصيدة الفأر". ويُقال إنّها أصيبت في آخر أيّامها بمرض ألزهايمر (خرف الشيخوخة) وتوفّيت العام ١٩٧٦ عن خمسة وثمانين عاماً، وتوفّي زوجها ماكس ملوان بعدها بسنتين، العام ١٩٧٨. كما توفّيت ابنتها روزالند هيكس العام ٢٠٠٤ مثل والدتها أغاثا في الخامسة والثمانين من عمرها. ويدير حفيدها ماثيو، وله ثلاثة أولاد، مؤسّسة أغاثا كريستي المساهِمة التي يُقدَّر دخلُها السنويّ بسبعة ملايين جنيه إسترلينيّ.

أغاثا كريستي وحلب

من خلال كتابها **تعال حدّثني كيف تعيش**، الذي كتبته عن الحياة في سورية في أثناء مرافقتها زوجها في تنقيبات تلال شاغر بازار وبراك وجدلة على الخابور والبليخ في مواسم الأعوام ١٩٣٤-١٩٣٨، نجد أنّها تركت وزوجها بصمات خاصّة في علاقتها بحلب وسكّانها بوجهٍ خاصّ.

ففي حلب والقامشلي تعرّفت إلى بائع المشروبات اليونانيّ "يناكوس". وتذكر دهشة ولده في القامشلي عندما ذكر لها: كيف يترك ملك أعظم بلد في العالم العرش من أجل امرأة (ترك الملك إدوار العرش من أجل حبّه للسيّدة سمبسون).

وعندما كانت تصل قادمة من أوروبّا بقطار الشرق السريع إلى حلب، كانت تقيم في **فندق بارون،** وتعرف صاحبه السيّد كوكو مظلوميان وزوجته الإنكليزيّة. وقد كتبت جزءاً من روايتها **جريمة في قطار الشرق السريع** في الغرفة ٢٠٣ من الفندق وعلى شرفته الواسعة. كما تذكر معرفتها **بالطبيب أسادور ألطونيان،** الذي كان يوجّه زوجها إلى مستشفاه بحلب (بناء مدرسة الحكمة الذي هُدِم مؤخّراً قرب سينما أوغاريت، والذي درّس فيه خير الدين الأسديّ في آخر أيّامه) المرضى المصابين من العاملين في تل شاغر بازار وتل براك وسواهما في الجزيرة.

ويضمّ الكتاب الذهبيّ **لدار آل بوخه** في خان النحّاسين في "المدينة" جملة كتبتها ووقّعتها أغاثا بالفرنسيّة بخطّ أنيق" في ذكرى سهرة ساحرة"، وتاريخها ١٩٣٨. وعندما كان الدكتور أدولف بوخه، رئيس جمعيّة العاديّات في السبعينيّات من القرن الماضي وما قبل، يُسأل عن معرفته بالكاتبة أغاثا، كان يجيب بأنّه رقص معها في بيت أخته مدام صولا (الكائن مقابل مدخل البيمارستان النوريّ في الجلّوم).

وما يدلّ على عراقة جمعيّة العاديّات بحلب، تذكر أغاثا مشاركتها أعضاء الجمعيّة في رحلة إلى قلعة سمعان (١٩٣٤ أو ١٩٣٥)، وكان بينهم رجل دين أصمّ ومهندس مناجم. وأعتقد أنّ الكاهن المقصود هو الأب جبرائيل ربّاط الذي أصبح رئيس الجمعيّة بعد وفاة الشيخ كامل الغزّي والشيخ راغب الطبّاخ العام ١٩٣٤، كما أعتقد أنّ مهندس المناجم هو الأديب شكيب الجابريّ مؤلّف رواية "وداعاً يا أفاميا".

وأذكر كذلك عالم الآثار ماكس ملوان زوج أغاثا، عندما سأله حفيد **عالم الآثار جورج سميث،** هل يعرف جدّه الذي قرأ قصّة الطوفان ونقّب في نينوى. أجابه ملوان بأنّه حضر احتفال إعادة دفنه في حلب العام ١٩٣٨ حيث نقل جثمانه مع آخرين من شمال مقبرة العبّارة، عندما منع الدفن فيها، إلى المقبرة الانجيليّة في الشيخ مقصود. والمعروف أنّ جورج سميث (١٨٣٠-١٨٧٦) الذي قرأ، لأوّل مرّة العام ١٨٧٣، **قصّة الطوفان** المذكورة في اللوح الحادي عشر من ملحمة جلجامش وبتفصيل أشدّ دقّة من التفصيل المذكور في العهد القديم، دُفِنَ بحلب العام ١٨٧٦.

صورة اوبنهايم وتمثال أمّ الضفائر قبل الترميم وبعده

كما نجد بين أسماء الزوّار في الكتاب الذهبيّ لدار آل بوخه توقيع الألمانيّ ماكس فرايهر أوبنهايم، الذي كان أوّل مَن نقّب بشكل نموذجيّ في سورية، وكان ذلك في تل حلف قرب رأس العين في الأعوام ١٩١١-١٩١٣ و١٩٢٦-١٩٢٧. وتأسّس متحف حلب الوطنيّ ليضمّ لقى مكتشفة من مملكة غوزانا الآراميّة في تل حلف من القرن العاشر ق. م.، وقد صُنِعت نسخ لجميع التماثيل المكتشفة، فنُقِل إلى برلين نصف اللقى الأصليّة والنصف الآخر نسخاً لها، وعُرِضَ الباقي من أصليّ ونسخ في متحف حلب. وتذكر أغاثا مشاهدتها وزوجها موقع تل حلف الذي يلتفّ حوله نهر الخابور قرب رأس العين، وزيارتها السابقة مع زوجها لمتحف أوبنهايم في برلين التي استغرقت خمس ساعات كاملة.

ويحضرني هنا تساؤل. دمّرت الغارات الجوّيّة للحلفاء على برلين العام ١٩٤٣ متحف وتماثيل تل حلف، وتمّ ترميم اللقى ثانيةً وأعيد عرضها حديثاً في برلين العام ٢٠١١. أي استغرق ذلك حوالى ٧٠ عاماً، لأنّ الأفضليّة هي للاهتمام بالبشر قبل الحجر. تُرى كم سيمرّ من الزمن كي نقوم في بلادنا الحبيبة بترميم هذه الكنوز التي دمّرتها الأيدي الآثمة والمسجّلة في لائحة التراث العالميّ، وفي مقدّمتها تدمر وقلعة الحصن وحلب القديمة والقرى الأثريّة (٣٧ قرية) مثل قلعة سمعان وقلب لوزة والبارة وسرجيلا التي سجّلت بالتراث العالميّ مؤخّراً في ٢٠١١/٦/٢٧؟

رحلت عنّا بتاريخ ٢٠١٥/٦/١٥ السيّدة جينّي بوخه مرّاش ابنة المرحوم الدكتور أدولف بوخه. كانت الأمينة، حتّى آخر لحظة ممكنة، على تقليد العائلة عبر الأجيال في شرح محتويات دار العائلة – المتحف حيث كانت قنصليّة البندقيَّة في خان النحّاسين في قلب "المدينة" منذ العام ١٥٤٨. وأصدرت بالفرنسيّة كتابين **صور جدّي** و**عائلة بوخه**. ومن بين ما ذُكِرَ في الكتاب الذهبيّ لزوّار الدار في نهاية كتاب **صور جدّي** تواقيع وكلمات علماء آثار وملوك ورؤساء كان من بينها خمسة أبيات، غير معروفة لكثيرين، كتبها بخطّ يده ووقّعها الشاعر أحمد شوقي في أثناء زيارته حلب بتاريخ ٨ نيسان ١٩١٧، ويذكر فيها فضائل إلفيرا إحدى أخوات الدكتور أدولف بوخه الخمس:

حضرة الآنسة المهذّبة المادوموازيل إلفيرا بياناً لفضائلها:

إنّ إلفيرةَ ذاتَ الجمال — في حلب الشهباء أختُ الرجالِ
قد صاغها الرحمانُ من جوهرٍ — وقد براها مصدراً للكمالِ
قَوامُها سُمرُ القَنا دونهُ — ألحاظُها فتّاكةٌ كالنصالِ
قد سحرتْ أهلَ النُهى جُملة — تاركةً قلوبَهم في اعتقالِ
فيا لها من غادةٍ قد غدتْ — للخَلقِ في اللطفِ خيرَ مثالِ

٨ نيسان (أبريل) ١٩١٧ التوقيع (أحمد شوقي)

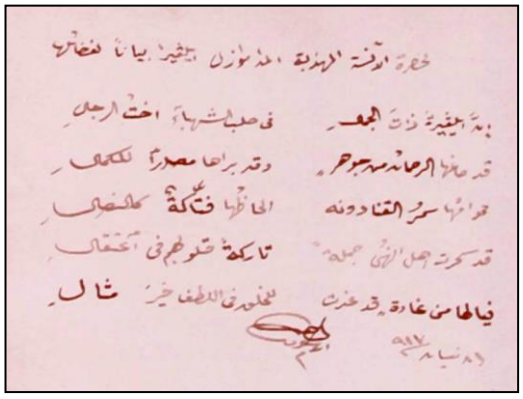

واليوم

لقد دُمّرت الدار ونُهِبت مع ما نُهِب ودُمِّر في المدينة القديمة من أسواق وخانات وقيساريات ومساجد وكنائس ومدارس... وأصبح في علم الغيب أرشيف (محفوظات) عائلتَيْ بوخه ومركوبولي المؤلّف من أكثر من ٦٠٠ ألف صفحة كانت تقوم بدراستها مجموعة عمل من جامعة توبنغن. رحم الله السيّدة جينّي وألهم العزاء لأولادها وعائلاتهم والأصدقاء الكثيرين وألهمهم الصبر. وذِكر الصدّيق والطيّب يدوم إلى الأبد.

ويحضرني هنا قول شاعر الحكمة عند العرب زهير بن أبي سُلمى:

ثلاثٌ يعزّ الصبرُ عند حدوثها ويذهل عنها قلبُ كلّ لبيبِ

خروجُ اضطرار من بلادٍ يحبّها وفرقةُ إخوانٍ وفقدُ حبيبِ

ونحن صامدون في حلب الشهيدة بانتظار يقظة الضمير الخيّر النائم لدى رؤساء دول العالم الذين يتحكّمون بلعبة الأمم القذرة التي تؤدّى في المنطقة وبلادنا الحبيبة، ولتكن مشيئتك يا ربّ!